غير الرسمي، فيتمثل في موضوعات الشعر التقليدية التي تعرب عن التقدم في هذا العصر.

أما سعد إسماعيل شلبي فيصنف الأدباء الذين وصلت آثارهم الشعرية إلى ثلاث طبقات منطلقاً من الطبقات التي اشتغلت به وهي:

١. الأمراء، والمراد بهم أمراء الأندلس وحكامها.

٢, الفرسان ومنهم سعيد بن جودي والصميل.

٣. الشعراء والمراد بهم الشعراء الذين تفرغوا لقول الشعر وانصرفوا إليه.[١]

وإذ يقرر بدير متولي حميد قلة مصادر الشعر الأندلسي في عصوره الأولى، وقلة الدراسات فيه، وغلبة السمة المشرقية عليه، يؤكد لنا أن ظروف الأندلس الأولى كانت صارفاً للعرب عن الاتجاه نحو البيئة الجديدة، فلم يحسوا جمالها ولم يتأثروا بها.[٢]

ومن هنا يخلص الباحث إلى صورة مصغرة للأدب الأندلسي. بشكل عام. في عصوره المتقدمة وهذه الصورة ستتضح أبعادها كلما وقفنا على مزيد من النصوص، والوثائق التي لم يصل منها إلا النَزر اليسير.

وفيما يلي سنتوقف عند أبرز ثلاثة شعراء في هذا العصر هم:

١. عبد الرحمن الداخل ٢. يحيى الغزال ٣. ابن عبد ربه.

١. عبد الرحمن الداخل (١١٢. ١٧٢هـ) :*

إذا كان الشعراء يحتاجون إلى تعريف، فمن من أبناء العربية لا يعرف الأمير الشاعر، وقد ذاع من أخباره وأنبائه، ما سار مسار الأمثال، في مضمار الشجاعة والبأس؟

نشأ في كنف جده هشام بعد موت أبيه معاوية، وهو صغير السن، وما كاد يشب عن الطوق، وقبيل بلوغه سن العشرين حتى سقطت دولة الأمويين، وأخذ العباسيون يتعقبون من بقي من بيت الحكم الأموي، وفر عبد الرحمن بسبب ذلك إلى المغرب، ثم أخذ يوطّد لنفسه الأمور، ويستعيد مجد آبائه حتى تكللت محاولته بالنجاح بعد حوالي خمس سنوات من فراره وذلك سنة ١٣٨هـ.

لقد روى عبد الرحمن قصة فراره من الموت الزؤام، حين قدم بنو العباس يبحثون

---

١ ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، د. سعد إسماعيل شلبي، ص ٣٤، مكتبة غريب، ١٩٧٧.

٢ قضايا أندلسية، ٧.

* ينظر في ترجمته: أخبار مجموعة، ٤٩ وما بعدها. الحلة السيراء، ١/٣٥ . ٤٢. البيان المغرب، ٢/٤٧ . ٦١. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ٤/٨١ . ٨٣.

عنه، ولندع الشاب الأديب يحدثنا بأسلوبه الشائق، عن تلك الأيام العصيبة، بلغة أدبية رائعة، تمثل صورة من صور النثر الفني حرصنا على إيرادها لأنها نص نثري متميز، يقول:

"وإني لجالس يوماً في قرية على شط الفرات، في ظلمة بيت تواريتُ فيه لرمد كان بي، وابني سليمان يلعب أمامي، إذ دخل الصّبي فزعاً باكياً، فأهوى إلى حجري، فجعلت أدفعه لما كان بي، ويأبى إلا التعلق بي، وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع! فخرجت لأنظر فإذا بالرّوع قد نزل بالقرية، فنظرت، فإذا بالرّايات السود عليها منحطة، وأخ لي حدث السن، كان معي يشتد هارباً ويقول لي: النجاة يا أخيّ فضربت بيدي إلى دنانير تناولتها، ونجوت بنفسي، والصبي أخي معي، وأعلمت أخواتي متّجهي.. وخرجت، فكمنتُ في موضع ناءٍ عن القرية، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطتْ بالدار، فلم تجد أثراً، ومضيتُ ولحقني بدر فأتيت رجلاً من معارفي بشط الفرات، وأمرته أن يبتاع لي دواب، وما يصلح لسفري، فدلّ علي عبد سوء له، فما راعنا إلا جلبة الخيل، تحفزنا فسبحت حالماً لنفسي، وسبح الغلام أخي.."[1].

ويُغرر بأخيه وينجو عبد الرحمن محتملاً في أخيه ثكلاً، ملأه مخافة، ثم يستقر به الأمر ليرحل إلى المغرب، ويبدأ مرحلة جديدة من حياته، حيث يجمع أنصاراً وأصدقاء، وينازل آخر ولاة الأندلس يوسف الفهري، ويدخل قرطبة سنة ١٣٨هـ.

لقد أفاضت المصادر التاريخية في الحديث عن منجزات الأمير على المستويين الداخلي والخارجي، وقد تناولت منجزاته تلك دراستان موسعتان،[2] وقد تلقب بألقاب كثيرة منها: "الداخل" ومنها "صقر قريش" واللقب الأول يرد في قصيدة له مطلعها:[3]

لا يلـف ممـتن علينـا قائـل لـولاي ما ملك الأنام "الـداخل"

وأما اللقب الثاني فقد أطلقه عليه (المنصور العباسي) الذي كان مأخوذاً به إلى حد جدٍ بعيد.[4]

لقد كان عبد الرحمن فرعاً من شجرة البيت الأموي الفينانة، التي تحدث المؤرخون عن ملكهم لأعنة البيان، واستحواذهم على ناصيته، "فلو زعم أحد أنه لم يقم أحد من أمراء الأندلس وخلفائها إلى آخر القرن الخامس إلا وهو جامعٌ أسباب الأدب. لكان حقيقاً في زعمه بالتصديق..."[5].

---

١ أخبار مجموعة، ٦٢. النفح، ٢٧/٣.

٢ الأولى: دراسة السيدة فريدة رؤوف الأنصاري بعنوان الإمارة الأموية بالأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٧٦، والثانية: دراسة إبراهيم ياس خضير الدوري بعنوان عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، وزارة الإعلام، بغداد، سنة ١٩٨٢، وهي رسالته للماجستير في جامعة الأزهر، ١٩٧٩.

٣ النفح، ٤٢/٣.

٤ البيان المغرب، ٥٩/٢ . ٦٠.

٥ تاريخ آداب العرب، ٢٦٩/٣.

وما يهمنا. في مقامنا هذا. الوقوف على الجانب الأدبي، فهو وإن كان مقلاً في الشعر، فإن ما وصل منه على جانب من البراعة، بحيث نجد أشعار كثير من الأمراء، تتضاءل في صدق العاطفة، إزاء ما نظمه عبد الرحمن الداخل، في التشوق والحنين إلى أوطانه.[1]

وقد أبدى النقاد القدماء إعجابهم بشاعريته، فأشار الحجاري (توفي بعد ٥٣٠هـ) فيما نقله المقري وقال: "كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتد عنه أكثر بني مروان حسيرا".[2]

وأعجب ابن الخطيب به فقال: "كان عبد الرحمن بن معاوية فصيحاً بليغاً، حسن التوقيع، مليح الفصول، مطبوع الشعر، معدوداً من أهل العلم"، وكانت فصاحته وبلاغته وحسن بداهته مدعاة لإعجاب معاصريه به.[3]

ومن هنا فقد اجتمع للرجل من المكانة والسلطان، ومن البراعة الفنية وجودة الشاعرية ما أذاع أشعاره وأشهر أدبه ولعل المكانة والسلطان هما السبب المباشر في ذلك على نحو ما يشير ابن قتيبة (ت٢٤٦هـ) إلى أن من الشعر ما يروى ويستجاد لنبل قائله.[4]

شعره:

يأتي شعر عبد الرحمن قسيماً لشعر الأمراء والملوك، وقد عني بدراسة أشعارهم عدد من القدماء والمحدثين.[5]

إن السمة الأولى التي تميز شعر الأمراء والملوك تتمثل في الجانب الإنساني الذي تصوره الأشعار، من حياتهم، ولا سيما إذا غلب الجانب الشعري على الجانب السياسي والإداري لتلك الشخصيات، وكأن هذا الجانب مستبعد أن يكون فيهم، وهم من هم عزاً وجاهاً، وسطوة وبأسا، وليس الأمر كذلك فإن الملوك والصعاليك متساوون، فيما يعرض لهم من عواطف إنسانية.

ويدور شعر الداخل في مجمله في محورين اثنين هما: شعر حماسة وفخر، وشعر شوق وحنين. ومما جاء في المحور الأول فيما رواه ابن فرج الجياني أن آت ممن كان يعرف كلفه بالصيد، أتاه فأخبره عن غرانق وقعت إلى جانب معسكره في إحدى حملاته، وحركه إلى اصطيادها:[6]

دَعني وصيّد وُقّع الغرانقِ

---

١ تاريخ الأدب الأندلسي، ٩١/١.
٢ النفح، ٣٩/٣.
٣ البيان المغرب، ٥٨/٢.
٤ الشعر والشعراء، ٣١/١، ط دار الثقافة.
٥ في الحلة السيراء نصوص كثيرة للملوك الشعراء. وينظر كتاب الملوك الشعراء للدكتور جبرائيل جبور، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١. شعر الخلفاء في العصر العباسي الأول، مؤيد فاضل، رسالة ماجستير، الأزهر، ١٩٧٨.
٦ أخبار مجموعة، ١٠٧. الحلة السيراء، ٤١/١.

فـأنّ همّي في اصـطياد المـارقِ
في نفـق إن كـان أو في حـالق
إذا التظـت هـواجر الطرائـق
كـان لَفـاعي ظـلّ بنـدٍ خـافق
غَنِيت عـن روض وقصرٍ شاهق
بـالقَفر والايطـان بالسُّـرادق
فقـلْ لمـن نـام علـى النمـارق
إن العُـلا شُـدّت بهـم طـارق
فاركـب إليهـا ثـبج المضـائق
أو لا، فأنـت أرذل الخلائـق

والقصيدة على بحر الرجز مشطورة وهو وزن ينسجم مع مثل هذا الموضوع، وأكثر طرديات أبي نواس جاءت في الأراجيز، أما القافية فمؤسسة دخيلة تنتهي بروي قلّما يجيد فيه الشعراء وهو القاف[1] وتستقيم القافية مطلقة ومقيدة إذ تكون مخبونة صحيحة أو مخبونة مقطوعة في الحالة الثانية ولكل منهما جرس موسيقي خاص والإطلاق آصل لاتفاق الكسر مع لفظ القافية، والرّاجح في الأبيات أنها مما قاله ارتجالاً ولا سيما أن القدماء يشيرون إلى ارتجاله عدداً من القصائد.[2]

ويتمثل في شعره عزة نفسه، وإبائه، فقد بلغه أن بعض أعوانه يمنّ عليه، ويزعم أنه لولاه لما صار إليه من ملك ومجد، ولعل المقصود به هو مولاه بدر، وفي ذلك يقول:[3]

لا يُلـفَ ممـتنٌ علينـا قائـلٌ — لـولايَ مـا ملـكَ الأنـامَ الـداخلُ
سَـعدي وحَزمي والمهنّـد والقَنَـا — ومقـادرٌ بلغـتْ وحـال حائـلُ
إن الملـوك مـع الزمـان كواكـب — نجـمٌ يطالعنـا ونجـم آفـل
والحـزمُ كـلُّ الحـزم ألا يغفلـوا — أيـروم تـدبير البريـة غافـل؟

وأما أشعاره في المحور الثاني. الشوق والحنين. فقد وصلت منها ثلاث مقطعات منها ما أنشده الحميدي في تاريخه، متشوقاً إلى معاهده بالشام:[4]

أيهـا الراكـب المـيُمم أرضـي — أقْـرِ مني بعـضَ السلام لـبعض
إن جسـمي كمـا علمـت بـأرضٍ — وفـؤادي ومالكيـه بـأرضِ
قـدر البـين بيننـا فافترقنـا — وطوى البين عن جفوني غمض

---

١ عبد الرحمن الأديب، ص ١٨٢، مقال د. عبد السلام الهراس في مجلة المناهل، العدد ٢٣، سنة ١٩٨٢.
٢ النفح، ٤٣/٣.
٣ نفح الطيب، ٤٣/٣. وتنظر أبياته التي تجري في هذا الاتجاه ومطلعها:
شتّان من قام ذا امتعاض — منتضي الشفرتين نصلا
نفح الطيب، ٤٣/٣.
٤ تنظر في الأبيات: جذوة المقتبس، ١٠. الحلة السيراء، ٣٦/١ . ٣٧. البيان المغرب، ٨٩/٢. نفح الطيب، ٥٤/٣.

قـد قضـى الله بـالفراقِ علينـا فعَسَى باجتماعنا سـوف يقـضِ

ونظر إلى نخلة مفردة فهاجت شجنه وتذكر بلد المشرق فقال:[1]

يـا نخـلُ أنـت غربيـةٌ مثلـي في الغَـرب نائيـة عـن الأصـل
فـابكي وهـل تبكـي مكبَّسـة عجمـاء لـم تطبـع على خَبْـلِ
لـو أنهـا تبكـي، إذاً لبكـتْ مـاءَ الفـرات ومنبـتَ النَخـلِ
لكنهـا ذَهَلَـتْ وأذهلنـي بغضـي بني العبـاس عـن أهلي

ومما قال منها على البديهة، وكان ذلك أول نزوله منية الرصافة، بقرطبة واتخاذه لها:[2]

تبـدّت لنـا وسـط الرصـافة نخلـة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلـت: شـبيهي في التغـرب والنـوى وطـول التنـائي عـن بني وعـن أهلي
نشـأت بـأرضٍ أنـت فيهـا غريبـة فمثلـك في الإقصـاء والمنتـأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسـح ويسـتمري السـماكين بالوبـل

ويناقش ابن الآبار نسبة هذه المقطعات إليه ويدفع أن تكون لغيره بل يثبت نسبتها إليه.[3] ويرى عبد السلام الهراس "أن إلحاح الشاعر على ألفاظ الفراق: (المنتأى، البين، الإقصاء، التغرب، النوى، الافتراق) وانشطار الذات بين المشرق والمغرب، والذّهول خلال مقطوعات ثلاث، ليكشف عن مدى تعلقه بالمشرق، وعن عمق المرارة التي يعانيها من التشرد الذي قدر عليه، وظل هذا الشعور قوياً، في أعماقه، رغم ما أدركه من مجد وشاده من ملك".[4] ويرى كذلك أن أبياته ذات نغمة حزينة أسية لارتباطها بذكريات مؤلمة وبآمال شاحبة، وبأمان تكاد تكون مستحيلة.[5]

أما أحمد هيكل فتستوقفه هذه الأشعار ويجد أن أبرز ما فيها هو عنصر العاطفة حيث استطاع الداخل أن يشخص من النخلة إنساناً حياً، ويجد بينه وبينها مشاركة وجدانية وعلاقة نفسية جعلته يخاطبها في حنو ويناجيها في عطف، كل ذلك يجعل العنصر العاطفي، أبرز عناصر المضمون الشعري ولذلك يطلق عليها تسمية "التركيز العاطفي" ويجعلها من السمات المميزة لشعر عصر الإمارة.[6]

ويستحوذ النص الأخير "تبدت لنا.." على إعجاب عبد الله كنون فيرى في أبياته نفثة سحرية.[7]

وأما المستشرق الروسي كراتشكوفكسي فيرى في أبياته "يا نخل.." أنها تناظر. في

---

١ الحلة السيراء، ٣٧/١.
٢ النفح، ٥٤/٣.
٣ الحلة السيراء، ٣٧/١ . ٣٨. وينظر دراسات في تاريخ الأدب العربي، ٩٩.
٤ عبد الرحمن الأديب، ١٧٨.
٥ نفسه، ١٨٢.
٦ الأدب الأندلسي، ٩٣ . ٩٥.
٧ الشعر الأندلسي، بحث في مجلة المجمع العربي السوري، ٣٧٤/٣/٣، سنة ١٩٥٦.

عاطفتها. أبياتاً لمطيع بن إياس (ت١٦٦هـ) يخاطب فيها نخلتين في حلوان في العراق.[١]

ولقد تقدمت بنا آنفاً، التفاتة إحسان عباس إلى هذه الناحية، ونلاحظ أن جلّ أشعار الشاعر، تأتي في الأوزان الخفيفة، التي تحاكي اضطراب مشاعره وانفعالاته، باستثناء النص الأخير، وقطعة أخرى.[٢]

نثره:

وأما الجانب الثاني، من شخصية عبد الرحمن الأدبية، فهو يتمثل في نثره، فقد كان من ذوي المواهب المزدوجة، ومجموع ما وصل إلينا منه، لا يتجاوز خمسة عشر نصاً، بضمنها النص الذي تحدث فيه عن قصة هربه من العباسيين، وقد أشاد الباحثون به ناثراً كما أشادوا به شاعراً، وصفه ابن حيان بأنه كان "بليغاً مفوهاً طلق اللسان، ويخطب على المنبر"[٣] ويتناول نثره من حيث المضمون ثلاثة اتجاهات رئيسة:

أولها: يتمثل في ثلاثة نصوص جرت في معرض الحوار والمناظرة بينه وبين مولاه بدر، ومنها ما قاله بدر يمن على مولاه: "بعنا أنفسنا وخاطرنا بها، في شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله". وقال كذلك وقد أمره بالخروج إلى غزاة: "إنما تعبنا أولاً لنستريح آخراً، وما أرانا إلا في أشد مما كنا".

ثم كتب له رقعة يذكره بفضله ويُدِل عليه ويلومه فيها، على إعراضه عنه، فلما وقف عبد الرحمن عليها، اشتد غيضه عليه فوقّع عليها[٤] "وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك، ولئيم معتقدك، والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا مُتاتاً،[٥] أتيت بما يهدم كل متات مشيد، مما تمن به، مما قد أضجر الأسماع تكراره، وقدحت في النفوس إعادته، مما استخرنا الله تعالى من أجله، على أمرنا باستئصال مالك، وزدنا في هجرك وإبعادك، وهضنا جناح إدلالك، فلعل ذلك يقمع منك، ويروعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى، فنحن أولى بتأديبك، من كل أحد، إذ شرّك مكتوب في مثالبنا، وخيرك معدودٌ في مناقبنا".

ويبدو أن العلاقة ازدادت سوءاً بينهما حتى أفضت بالأمير إلى أن يأمر بنفيه عن قرطبة إلى أقصى الثغر ويخاطبه بقوله:[٦] "لتعلمْ أنك لم تزل بَمقْتِك حتى ثقلت على العين طلعتك، ثم زدتَ إلى أن ثقل على السمع كلامك، ثم زدتَ إلى أن ثقل على النفس جوارك، وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر فبالله إلا ما أقصرت، ولا يبلغ بك زائد

---

١ دراسات في تاريخ الأدب العربي، ٩٩.

٢ قطعته التي مطلعها:

لا يلف ممتن علينا قائل — لولاي ما ملك الأنام الداخل

٣ النفح، ٣/٣٧.

٤ النفح، ٣/٤٠.

٥ المُتات: ما يمت به كالماته، الحرمة الوسيلة.

٦ النفح، ٣/٤١.